سلسلة النذير

(٨)

أصول جامعة نافعة في

البلاء والابتلاء

لابن قيم الجوزية

أعده وضبطه وعلق عليه

أبو محمد أشرف بن عبد المقصود

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

مكتبة طبرية
الرياض - النسيم - تلفون ٢٣٢١٠٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام العلامة أبو عبد الله شمس الدِّين محمد بن أبي بكر الشَّهير بابن قيم الجوزية بعد كلام له سبق فى « إغاثة اللهفان فى مصايد الشيطان »(*) : وتمام الكلام فى هذا المقام العظيم يتبين بأصول نافعة جامعة :

الأصل الأول

□ أن ما يصيبُ المؤمنين من الشرور والمحن والأذى دون ما يصيبُ الكفار ، والواقعُ شاهد بذلك ، وكذلك ما يصيب الأبرار فى هذه الدُّنيا دون ما يصيب الفجار والفُسَّاق والظَّلمة بكثير .

* * *

(*) اعتمدت على طبعة السنة المحمدية بتحقيق الشيخ محمد حامد الفقى .

الأصـل الثانـى

□ أن ما يصيب المؤمنين فى الله تعالى مَقرون بالرِّضا والاحتساب ، فإن فاتَهُمْ الرِّضا فمعَوَّلهم على الصَّبر ، وعلى وعلى الإحتساب ، وذلك يخفف عنهم ثقل البلاء ، ومؤنته ، فإنهم كلما شاهدوا العِوَض هان عليهم تحمل المشاقِّ والبلاء ، والكفار لا رضا عندهم ولا احتساب ، وإن صبروا فكصبر البهائم .

وقد نبّه الله تعالى على ذلك بقوله : ﴿ ولا تَهِنُواْ فِي ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ إِنْ تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُون كمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللهِ مَالا يَرْجُونَ ﴾ [النساء : ١٠٤] .

* * *

---

(١) والمعنى كما قال ابن القيم فى زاد المعاد (٣ - ٢٢٢) : « فما بالكم تهلون وتضعفون عند الفرح والألم ، فقد أصابهم ذلك فى سبيل الشَّيطان ، وأنتم أصبتم فى سبيلى وابتغاء مرضاتى » .

وراجع الكلام على حكمة الابتلاء بما لا تراه فى مكان آخر فى زاد المعاد (١٢٨/٣ : ٢٤٠) فى فصل ذكر بعض الحكم والغايات المحمودة التى كانت فى وقعة أحد .

الأصل الثالث

□ إن المؤمن إذا أوذى فى الله فإنه محمول عنه بحسب طاعته وإخلاصه ووجود حقائق الإيمان فى قلبه ، حتى يحمل عنه من الأذى ما لو كان شىء منه على غيره لعَجز عن حمله ، وهذا من دَفع الله عن عبده المؤمن ، فإنه يدفع عنه كثيرًا من البلاء ، وإذا كان لابدَّ له من شىء منه دَفع عنه ثقله ومؤنته ومشقته وتَبِعَته .

* * *

الأصل الرابع

□ إن المحبة كلما تمكَّنت فى القلب ورَسَخت فيه ، كان أذىٰ المحبِّ فى رِضىٰ محبوبه مُسْتحلَى غيرَ مسخوط ، والمحبوبون يَفْتَخِرون عند أحبابهم ، بذلك حتى قال قائلهم :

لئن ساءنى أن نِلْتَنِى بمساءَةٍ
لقد سَرَّنى أنِّي خَطَرْتُ ببالك

فما الظنّ بمحبة المحبوب الأعلى ، الذى لحبيبه رحمة منه له وإحسان إليه .

* * *

الأصل الخامس

□ أنَّ ما يصيبُ الكافرَ والفاجرَ والمنافق من العز والنصر والجاه ، دون ما يحصلُ للمؤمنين بكثير ، بل باطن ذلك ذلّ وكسر وهوان ، وإن كان فى الظاهر بخلافه .

قال الحسنُ - رحمه الله -: « إنهم وإن هَمْلَجت بهم البراذين وَطَقْطَقَتْ بهم البغال إن ذلَّ المعْصِية لفى قلوبهم ، أَبى الله إلا أن يُذلَّ مَنْ عصاه »[1] .

• • •

---

(١) وأورده ابن القيم فى روضة المحبين أيضًا ص ١١٣ ، وابن رجب فى الحكم الجديرة بالإذاعة ص ٣٦ . هملجت : مشية الهملجة حسن سير الدابة فى سرعة .

الأصل السادس

□ أن ابتلاء المؤمن كالدّواء له يَستْخرجُ منه الأدواء التى لو بقيت فيه أهلكته ، أو نقصَتْ ثوابه ، وأنزلت درجته ، فيستخرجُ الابتلاءُ والامتحان منه تلك الأدواء وَيَستْعِد به لتمام الأجر ، وعلوّ المنزلة ، ومعلوم أن وجود هذا خير للمؤمن من عدمه ، كما قال النبى صلّى الله عليه وآله وسلم :

« وَالَّذِى نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَقْضِي الله للمؤْمِن قَضَاء إِلَّا كَان خَيْرًا لَهُ ، وليس ذَلِكَ إِلَّا للمؤْمِنِ ، إنْ أُصَابَتْهُ سَرَّاءَ شَكَرَ ، فَكَان خَيْرًا لَه ، وَإِنْ أُصَابَتْهُ ضَراء صَبَر ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ »[1] .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٩) (٦٤) من حديث صهيب بلفظ : « عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ... » الحديث .

وهو فى المسند (٣/١٨٤ ، ٥/٢٤) من حديث أنس مختصرًا بلفظ : « عجبًا للمؤمن لا يقضى الله له شيئًا إلا كان خيرًا له » وإسناده صحيح .

فهذا الابتلاء والامتحان من تَمَام نصره ، وعزه وعافيته ، ولهذا كان أشد الناس بلاء الأنبياءُ ، ثم الأقرب إليهم فالأقربُ ، يُبتلَى المرءُ على حسب دينه ، فإن كان فى دينه صلابة شُدِّد عليه البلاءُ ، وإن كان فى دينه رِقَّة خُفف عنه ، ولا يزال البلاء بالمؤمن حتى يَمشى على وجه الأرض وليس عليه خطيئة .

* * *

الأصل السابع

□ أن ما يصيبُ المؤمن فى هذه الدَّار من إدالة عَدُوه عليه ، وغلبته له ، وأذاه له فى بعض الأحيان : أمرٌ لازم ، لابد منه ، وهو كالحرِّ الشديد ، والبرْد الشَّديد ، والأمراضِ والهموم والغموم ، فهذا أمر لازم للطبيعة والنشأة الإنسانية فى هذه الدار ، حتى للأطفال ، والبهائم ، لما اقتضَتْه حكمةُ أحكم الحاكمين ، فلو تجرد الخيرُ فى هذا العالم عن الشرِّ ، والنفعُ عن الضرّ ، واللذة عن الألم ، لكان ذلك عالَمًا غير هذا ، ونشأة أخرى غير هذه النشأة ، وكانت تَفُوت الحكْمَة التى

مزج لأجلها بينَ الخير والشرّ ، والألم واللذة والنافع والضار ، وإنما يكون تخليصُ هذا من هذا ، وتمييزه في دار أخرى ، غير هذه الدار ، كما قال تعالى : ﴿ لِيميزَ اللهُ الْخبيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخبيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعلَهُ فِى جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأنفال : ٣٧] .

* * *

الأصل الثامن

□ أن ابتلاءَ المؤمنين بغلبة عَدُوِّهم لهم ، وقَهْرِهم ، وكَسْرِهم لهم أحيانًا فيه حِكمةٌ عظيمةٌ ، لا يعلمها على التَّفْصِيل إلا الله عز وجل .

فمنها : استخراجُ عبُوديَّتِهِم وذلِّهم لله ، وانْكِسارِهِمْ له ، وافتقارِهم إليه ، وسؤالِه نَصْرَهم على أعدائهم ، ولو كانوا دائمًا منصورين قاهرين غالبين لَبطِرُوا وأشِرُوا . ولو كانوا دائمًا مَقْهورين مَغْلُوبين منصورًا عليهم عدوُّهم لما قامَتْ للدِّين قائمة ، ولا كانت للحقِّ دولة فاقْتَضتْ حِكمَةُ أحكمِ الحاكمين أنْ صَرَّفهم بين غَلَبهم تارةً ، وكونهم مغلوبين تارةً .

فإذا غُلِبُوا تَضَرَّعُوا إلى رَبِّهم ، وأَنابوا إليه ، وخَضَعوا له ، وانْكَسَروا له ، وتابوا إليه ، وإذا غَلَبُوا أقامُوا دينه وشعائره ، وأمروا بالمعروف ، ونَهَوْا عن المُنْكَرِ ، وجاهَدُوا عَدُوَّه ، ونَصَرُوا أولياءَه .

ومنها : أنهم لو كانوا دائمًا منصورين ، غالبين ، قاهرين ، لدخلَ معهم مَنْ مِنْ ليس قَصْدُه الدِّين ، ومتابعة الرسول . فإنه إنما ينصافُ إلى مَنْ له الغَلَبةُ والعِزَّة ، ولو كانوا مَقْهُورين مَغْلُوبين دائمًا لم يَدْخُلْ معهم أحد . فاقتضتْ الحكمةُ الإلهيَّة أنْ كانت لهم الدَّوْلةُ تارَةً ، وعليهم تارة . فَيَتَميَّز بذلك بين مَنْ يُرِيدُ الله ورسوله ، ومَنْ ليس له مراد إلا الدنيا والجاه .

ومنها : أنه سبحانهُ يحِبُّ مِنْ عبادِه تَكْمِيل عبُوديتهم على السَّراء والضَّراءِ ، وفى حالِ العافية والبلاء ، وفى حال إدالَتِهم والإدالةِ عليهم فلله سبحانه على العباد فى كِلْتا الحالين عَبُودِيَّةٌ بمقتضَى تلك الحالِ . لا تحصلُ إلا بها ، ولا يستقيمُ القَلْبُ بدونها ، كما لا تَسْتَقيمُ الأبدان إلا بالحَرِّ والبَرْدِ ، والجوعِ والعَطَشِ ، والتَّعَبِ والنَّصَبِ ، وأضْدادها . فتلك المحَنُ والبلايا شَرْط فى حصول الكمال الإنسانى والاستقامَةِ المطلوبة منه ، ووجود الملزومِ بدون لازمه ممتنعٌ .

ومنها : أن امتحانَهم بإدَالَةِ عَدُوِّهم عليهم يُمَحِّصُهم ، ويُخلِّصُهم ويُهَذِّبُهم . كما قال تعالى فى حِكْمة إدالة الكُفَّار على المؤمنين يَوْمَ أحدٍ : ﴿ وَلا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إنْ كُنتُمْ مُؤْمِنين . إنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ آللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ . وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ . أَم حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ آللهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ . وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ المَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُموه وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ . وَمَا مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفإنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ آنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ آللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِى آللهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ .

[آل عمران : ١٣٩ - ١٤٤]

فذكر سبحانه أنواعًا من الحِكَم التى لأَجْلها أديلَ عليهم الكُفار ، بعد أنْ ثَبَّتهم وقَوَّاهم وبشرهم بأنهم الأعْلون بما أعطوا من الإيمان ، وسَلَّاهُمْ بأنهم وإن مَسَّهمْ القَرْحُ فى طاعته وفى طاعة رَسوله فقد مس أعداءَهم القَرْحُ فى عداوته وعَداوة رَسُوله .

ثم أخبرهم أنَّه سبحانه بحكمته يجعلُ الأيام دُوَلاً بين الناس . فيصيبُ كلًّا منهم نصيبه منها . كالأرزاق والآجال .

ثم أُخبرهم أنّه فعلَ ذلك ليعلم المؤمنين منهم ، وهو سبحانه بكلّ شيء عليم قبل كَونه وبعد كَوْنه ، ولكنه أراد أن يَعلمهم موجودين مُشاهَدين فيعلم إيمانهم واقعًا .

ثم أخبرَ أنّه يُحبُّ أن يَتَّخِذ منهم شهداءَ ، فإن الشَّهادة درجة عالية عنده ، ومنزلة رفيعة لا تُنال إلا بالقتل فى سبيله ، فلولا إدالة العَدُوِّ لم تحْصُل درجةُ الشهادة التى هى من أحبِّ الأشياء إليه ، وأنفعها للعبد .

ثم أخبر سبحانه أنه يريد تَمْحِيص المؤمنين ، أى تَخْليصهم من ذُنوبهم بالتَّوْبة والرُّجُوعِ إليه واستغفاره من الذّنوب التى أديل بها عليهم العدو ، وأنه مع ذلك يريدُ أنْ يَمْحَقَ الكافرين ببغيهم وطغيانهم ، وعُدْوانهم إذا انتصروا .

ثم أنكر عليهم حُسْبَانهم وظَنهم دخولَ الجنة بغير جِهاد ولا صبر . وأنَّ حِكْمتَه تأبَى ذلك . فلا يدخلونها إلا بالجهاد والصبر ، ولو كانوا دائمًا منصورين غالبين لما جَاهَدَهُمْ أحد ولما ابْتُلوا بما يصبرون عليه من أذَى أعدائهم .

فهذا بعض حِكَمِه فى نصْرَة عدوهم عليهم ، وإدالته فى بعض الأحيان .

* * *

الأصـل التاسـع

□ أنه سبحانه وتعالى إنما خلقَ السمواتِ والأرض وخلقَ الموتَ والحياةَ وزين الأرض بما عليها لابتلاء عباده وامتحانهم ، ليعلم من يريده ويريد ممن ما عنده ممن يريدُ الدنيا وزينتها .

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوٰاتِ وَالأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ [هود : ٧] .

وقال : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ [الكهف : ٧] .

وقال : ﴿ الَّذِى خَلَقَ المَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ [الملك : ٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد : ٣١] .

وقال تعالى : ﴿ الٓمٓ . أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ . وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ [العنكبوت : ١- ٣] .

فالناس إذا أُرسل إليهم الرُّسل بين أُمرين ، إمَّا أنْ يقول أحدهم : آمنتُ ، أو لا يؤمن ، بل يستمرُّ على السيِّئات والكفر ، ولابدَّ من امتحان هذا وهذا .

فأما من قال : آمنتُ فلابد أنْ يَمتحنه الرّب ويبتليه ، ليتبيَّن : هل هو صادقٌ فى قوله ، آمنت ، أو كاذبٌ ؟ فإن كان كاذبًا رجعَ على عقبيه ، وفَرّ من الامتحان ، كما يَفِرّ من عذاب الله ، وإن كان صادقًا ثبت على قوله ، ولم يزِدْه الابتلاء والامتحان إلا إيمانًا على إيمانه : ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هٰذا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إلاَّ إيمَانًا وتَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٢٢] .

وأمّا من لم يؤمن ، فإنه يُمتحن فى الآخرة بالعذاب ، ويُفتن به ، وهى أعظم المحنتين ، هذا إن سلم من امتحانه بعذاب الدنيا ومصائبها ، وعقوبتها التى أوقعها الله بمن لم يتبع رسله وعصاهم ، فلابد من المحنة فى هذه الدار وفى البَرْزَخ ، وفى القيامة لكل أحِد ، ولكنَّ المؤمنَ أخفُّ محنةً وأسهلُ بَلِيَّةً . فإن الله يَدْفَعُ عنه بالإيمان . ويَحْمِلُ عنه به ويرزقه من الصبر والثبات والرِّضى والتسليم ما يهون به عليه محنته . وأما الكافر والمنافق والفاجر فتشتد محنته وبَلِيَّته وتَدوم ، فمِحْنةُ المؤمن خفيفةٌ منقطعة ، ومحنةُ الكافر والمنافق والفاجر شديدة متصلة .

فلابدَّ من حُصول الألم والمحنَةِ لكلِّ نفس ، آمنت أو كفرت ، لكن المؤمنُ يحصل له الألم فى الدنيا ابتداءً ، ثم تكون له عاقبة الدّنيا والآخرة . والكافر والمنافق والفاجر ، تَحْصُل له اللَّذة والنَّعيم ابتداء ، ثم يصيرُ إلى الألم ، فلا يطمعْ أحد أن يَخْلصَ من المحنة والألم ألبتَّةَ يوضحه :

الأصـــل العاشـــر

□ وهو أنَّ الإنسان مَدَنِى بالطَّبع ، لابد له أنْ يعيشَ مع الناس ، والناس لهم إراداتٌ وتصوّرات ، واعتقادات ، فيطلبون منه أن يوافقهم عليها فإن لم يوافقهم آذَوه وعذبوه ، وإن وافقهم حصلَ له الأذى والعذاب من وجهٍ آخر ، فلابدّ له من الناس ومخالطتهم ، ولا ينفك عن موافقتهم أو مخالفتهم . وفى الموافقة ألم وعذاب ، إذا كانت على باطل ، وفى المخالفة ألم وعذاب ، إذا لم يُوافق أهواءهم واعتقاداتهم وإرادتهم ، ولا ريب أن ألم المخالفة لهم فى باطلهم أسهلُ وأيسرُ من الألم المترتب على موافقتهم .

واعْتبر هذا بمَنْ يطلبون منه الموافقة على ظلم أو فاحشة أو شهادة زُور أو المعاونة على محرّم . فإن لم يوافقهم آذَوه وظلموه وعادوه ، ولكن له العاقبة والنصرة عليهم إن صبَر واتَّقى وإن وافقهم فرارًا من ألم المخالفة أعْقَبه ذلك من الألم أعظَم مما فَرّ منه ، والغالبُ أنهم يُسلَّطون عليه ، فيناله من الألم منهم أضعافُ ما ناله من اللذة أولاً بموافقتهم .

فمعرفة هذا ومراعاته من أنفع ما للعبد ، فألمٌ يسيرٌ يُعْقِبُ لذةً عظيمة دائمة أولى بالاحتمال من لذَّة يسيرة تُعقِبُ ألمًا عظيمًا دائمًا ، والتوفيق بيد الله .

* * *

الأصل الحادى عشر

□ أن البلاء الذى يُصيبُ العبدَ فى الله لا يخرجُ عن أربعة أقسام . فإنه إما أن يكون فى نفسه ، أو فى ماله ، أو فى عِرْضه ، أو فى أهله ومَنْ يُحبُّ .

والذى فى نفسه قد يكون بتَلَفِها تارةً ، وبتألُّمها بدون التَّلف ، فهذا مجموع ما يُبتلَى به العبد فى الله .

وأشد هذه الأقسام : المصيبةُ فى النفس .

ومن المعلوم : أن الخلق كلّهم يموتون ، وغاية هذا المؤمن أن يستشهد فى الله ، وتلك أشرف الموتاتِ وأسهلها ، فإنه لا يجد الشهيد من الألم إلا مثل ألم القَرْصة ، فليس فى قتلِ الشهيد مصيبة زائدة على ما هو مُعتاد لبنى آدم .

فمن عَدّ مصيبة هذا القتل أعظم من مصيبة الموت على الفراش ، فهو جاهل ، بل موتُ الشهيدِ من أيسرِ الميتات وأفضلها ، وأعلاها . ولكن الفارَّ يظنُّ أنه بفراره يطول عمره ، فيتمتع بالعيش ، وقد أكذب الله سبحانه هذا الظنّ ، حيث يقول : ﴿ **قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلا قَلِيلًا** ﴾ [الأحزاب : ١٦] .

فأخبر الله أن الفرار من الموت بالشهادة لا ينفعُ ، فلا فائدة فيه ، وأنه لو نفع لم ينفعْ إلا قليلا ، إذ لابدَّ له من الموتِ ، فيفوته بهذا القليل ما هو خير منه وأنفع : من حياة الشهيد عند ربه . ثم قال : ﴿ **قُلْ مَنْ ذَا الَّذِى يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا** ﴾ [الأحزاب : ١٧] .

فأخبر سبحانه أنَّ العبدَ لا يعصمهُ أحد من الله ، إن أراد به سوءًا غيرَ الموت الذى فرَّ منه ، فإنه فرَّ من الموت لَمَّا كان يسوءه ، فأخبر الله سبحانه أنه لو أراد به سُوءًا غيرَه لم يعصمه أحد من الله ، وأنه قد يَفرّ مما يَسُوءه من القتل فى سبيل الله . فيقعُ فيما يَسُوءه مما هو أعظم منه .

وإذا كان هذا فى مصيبة النّفس ، فالأمر هكذا فى مصيبة المال والعرض والبدن ، فإن مَنْ بَخِلَ بماله أن يُنْفِقَه فى سبيل الله تعالى وإعلاء كلمته سَلَبَه الله إياه ، أو قَيَّضَ له إنفاقه فيما لا ينفعه دنيا ولا أخرى ، بل فيما يعود عليه بمضرته عاجلا وآجلا ، وإن حبسه وادّخره منعه التمتع به ، ونقله إلى غيره فيكون له مَهْنَؤه وعلى مُخَلِّفه وِزْرُه ... وكذلك من رَفَّهَ بَدَنه وعِرْضه وآثر راحته على التعب لله وفى سبيله ، أتعبه الله سبحانه أضعافَ ذلك فى غير سبيله ومرضاته ، وهذا أمر يعرفه الناسُ بالتجارُب .

قال أبو حازم : « لَمَا يَلْقى الذى لا يَتَّقِى الله مِنْ مُعالجة الخلق أعظمُ مما يَلْقَى الذى يتقى الله من معالجة التَّقْوَى »[١] .

واعتبر ذلك بحال إبليس . فإنه امتنع من السجود لآدم فِرارًا أنْ يخضع له ويَذِلّ ، وطلب إعزازَ نفسه ، فصَيَّره الله أذلّ الأذلّين ، وجعله خادمًا لأهل الفُسوق والفُجور من ذُريته ، فلم يرضَ بالسجود له ، ورضى أن يَخْدُم هو وبنوه فُسَّاق ذريته .

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٣/٢٤٥) .

وكذلك عُبَّادُ الأصنام . أَنِفُوا أن يتَّبعوا رسولًا من البشر ، وأن يعبدوا إلهًا واحدًا سبحانه ، ورَضوا أن يعبدوا آلهةً من الأحجار .

وكذلك كلُّ من امتنع أن يَذِل لله ، أو يبذل ما لَه فى مَرْضاته ، أو يتْعِبَ نفسه وبِدَنَه فى طاعته ، لابدَّ أن يذلّ لمن لا يسوى ، ويَبذل له ماله ، ويتعب نفسه وبدَنه فى طاعته ومَرْضاته ، عقوبة له ، كما قال بعض السَّلف : « مَنْ امتنع أن يَمْشى مع أخيه خُطُواتٍ فى حاجته أمْشاه الله تعالى أكثر منها فى غير طَاعَتِهِ » .

* * *

صـدر حديثًا ... من منشوراتنا

سلسلة النذير

سلسلة منتقاة .. مضبوطة .. مخرجة الأحاديث

صدر منها حتى الآن :

□ للحافظ ابن قيم الجوزية :

١ – كيف تنجو من السِّحر والحسد والعين .
٢ – ما يعتصم به الإنسان من الجن والشَّيطان .
٣ – مداخل الشَّيطان لإفساد البشر .
٤ – ذمُّ الهوىٰ وما فى مخالفته من نيل المنىٰ .
٥ – صفات المنافقين وذم النِّفاق وأهله .
٦ – ولا تقربوا الزِّنا .
٧ – الغربة والغرباء .
٨ – البلاء والإبتلاء .

□ للشيخ أبي بكر الجزائري :

٩ – الطُّريق إلى الجنة .
١٠ – المسلم الحق .
١١ – إلى اللاعبين بالنار «ذمُّ الرِّبا» .

صدر حديثًا .. من منشوراتنا

سلسلة ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾

منتقاة .. مضبوطة .. مخرَّجة الأحاديث

□ صدر منها حتى الآن :

١ – الأصول الثلاثة وأدلتها – للشيخ محمد بن عبدالوهاب .

٢ – تطهير الجنان . للشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي .

٣ – تطهير الاعتقاد . للصنعاني .

٤ – التَّوحيد . لابن حميد .

٥ – أنواع الشرك . لابن قيم الجوزيّة .

٦ – الواسطة بين الحق والخلق . لابن تيميّة .

٧ – حكم موالاة أهل الإشراك . للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب .

٨ – مسائل الجاهلية . للشيخ محمد بن عبدالوهاب .

٩ – إعلام المسلمين بكفر من سبَّ الدِّين . لأبى محمد أشرف بن عبدالمقصود .

١٠ – منهج الأشاعرة فى العقيدة . للدكتور سفر الحوالي .

١١ – الكتاب والسُّنة عقيدة ومنهجًا . للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق .

١٢ – إنصاف التصوف . لشيخ الإسلام ابن تيمية .

توزيع مؤسسة الجريسي
الرياض : ت ٤٠٢٢٥٦٤ ● جـدة : ت ٦٨٢٦١٠٥
الدمـام : ت ٨٢٧١٨١١ ● المدينة : ت ٨٣٨٠٥٢٩
القصيم : ت ٣٦٤٤٣٦٦ ● أبهـا : ت ٢٢٢٠٤٨٥

مطبعة سفير تلفون ٤٩٨٠٧٨٠ - ٤٩٨٠٧٧٦ ★ الرياض

هـذه الرسـالة

قال الله تعالى : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ .

وقال : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ .

وفى الحديث : « إنَّ عِظَمَ الجَزَاء مَع عِظَم البَلاء ، وإنَّ الله إذَا أحَبَّ قومًا ابتلاهُم ، فمن رَضِيَ فَلَهُ الرِّضا ، ومن سَخِطَ فله السُّخط » [رواه الترمذى بإسناد حسن] .

فإلى المبتلين الصادقين !!

إلى المؤمنين الذين أخلصوا دينهم لله فصبروا على الأذى والإبتلاء فى نشر الإسلام !!

إلى الثابتين فى المحن والشدائد !!

كانت هذه الرِّسالة .

مطبعة سفير تلفون ٤٩٨٠٧٨٠ - ٤٩٨٠٧٧٦ ● الرياض